

حديث فى أنقرة حول العدالة والإبادة

بقلم : خاتشيك مراديان

ترجمة : سحر توفيق

فى ١٩ يناير ٢٠١٣ ، ألقى خاتشيك مراديان رئيس تحرير جريدة The Armenian Weekly التى تصدر باللغة الإنجليزية فى مدينة بوسطن كلمة أثناء لقاء نظمه مفكرون وأكاديميون يساريون أتراك فى أنقرة بمناسبة الذكرى السادسة لاغتيال هرانت دينك . وخلال اللقاء ، تحدث مراديان عن العدالة من أجل الإبادة الأرمنية باللغة التركية . وفيما يلى النص الكامل لكلمته عن الترجمة الإنجليزية لها .

كيف وصلتني اللغة التركية ؟

لم أتعلمها بهدف إضافة لغة أجنبية أخرى إلى سيرتى الذاتية .

جاءتني اللغة التركية يوم ولدت - لم أطلب ذلك ، ولكنى لم أستطع أن أرفضها أيضاً .

جاءت إلى فى صوت جدتى .

بالنسبة لكم ، التركية هى اللغة الأم ، وبالنسبة لى ، هى لغة جدتى .

نجا أجدادى من الإبادة ، وانتهى بهم المقام فى لبنان ، وهم خاؤون الوفاض عملياً . وأعادوا بناء حياتهم من العدم ، ووهبوا والدى الحياة .

وعندما ولدت ، أعطيتانى شيئاً من الأشياء القليلة التى استطاعا فى الحقيقة إحضارها معهما من قىليقية : اللغة التركية .

بالنسبة لكم ، التركية هى لغة الحب الأبوى .

وبالنسبة لى ، هى عبء الموت ونزع الممتلكات .

لغتى التركية تحمل ذكريات الموت ونزع الممتلكات من أضنة ، وكيليس ، قونية ، وإرجلى ، وحسن بيلى . أى من القرى والمدن التى ينتمى إليها أجدادى .

واليوم ، لأول مرة ، أتحدث تلك اللغة وأنا جالس على منصة .

اليوم ، لأول مرة ، أعيد هدية الموت ونزع الممتلكات إلى الأراضى التى جاءت منها .

وأطلب بدلاً منها : لغة العدل .

منذ ست سنوات ، فى مثل هذا اليوم ، استيقظتُ فى بوسطن فى الصباح الباكر على مكالمة هاتفية من أمى فى لبنان .



وأخبرتني بالأنباء المحطّمة .

فى تلك اللحظة ، كان الشئ الوحيد الذى استطعتُ فعله هو أن أجلس وأكتب هذه الرسالة :

عزيزى هرانت . .

أعتقد الآن أن المياه أخيراً قد وجدت مجرى تتدفق فيه ، وأنك وجدت السبيل العظيم خلف أولئك الذين فقدناهم منذ ٩٢ عاماً .

هرانت ، هناك معروف أطلبه منك .

قبّل كريكور زوهراب نيابة عنى . قل له أننى كنتُ أقرأ قصصه القصيرة وأعيد قراءتها مرة تلو الأخرى ، منذ اكتشفتها .

وبلّغ أجمل تحية منى لدانييل فاروچان . وأخبره أنه كان نوراً أضاء شبابى بقصائده ، وأنه يُلهم روحى وسيظل يُلهمها باستمرار .

هرانت ، لا تنس أن تنشُد أغنيات البقاء مع سيامانتو .

قل لهم إنهم قائمون هنا على أرفف كتبنا ، إنهم موجودون على مناضد غرف الدراسة ، وأن كلماتهم تتردد على شفاهنا وفى قلوبنا .

وقل لهم أننى أعتقد - وأنا متأكد أنك كذلك أيضاً - أنه فى يوم ما ، سوف يكونون على أرفف كتب ، ومناضد غرف الدراسة ، وشفاه وقلوب الأتراك أيضاً . وذات يوم سوف تزدان إسطنبول بتمائيلهم ، وبتمالك أيضاً .

ولا تنس أن تُردد صلاة مع جوميداس ، وقل له أنه ، ذات يوم ، سوف تُغنى النساء الأرمنيات مرة أخرى فى تلك القرى .

* طلعت باشا الذى قام بدور بارز فى إبادة الأرمن عام ١٩١٥ .

** ساماست هو قاتل هرانت دينك .

من فضلك إبحث عن أجدادى ، قل لهم إننا نحمل أسماءهم وحبهم إلى الأرض التى لم يُغادروها أبداً ، الأرض التى لم نرها أبداً .

هرانت ، ضع قبلة على الجباه المباركة لكل ضحية من ضحايا الجريمة الكبرى ، ١٩١٥ .

قل لهم إننا سوف نستمر فى السير على طريق أحلامهم . لأن أحلامهم هى أحلامنا .

قل لهم إننا سوف نجعل الصحراء تزدهر بعبق ذكراهم .

قل لهم أنه من طلعت* إلى ساماست** ، إننا ناجون وباقون .

قل لهم إننا جميعاً زوهراب ، وفاروچان ، وسيامانتو ، وجوميداس ، وهرانت .

مع حبى

خاتشيج مراديان . .

* * *

كنتُ قد كتبتُ : « قل لهم إننا جميعاً زوهراب ، وفاروچان ، وسيامانتو ، وجوميداس ، وهرانت » .

ومرت السنوات ، ولكن حتى الآن لم أستطع مصالحة نفسى مع عبارة « إننا جميعاً هرانت دينك ، إننا جميعاً أرمن » ، تلك الكلمات التى ردها الآلاف فى تركيا أثناء جنازة دينك ، وكررها مئات الكتاب فى الأشهر والسنوات التى تلت .

وعندما تحدثتُ فى تابين دينك بعد أيام قليلة من اغتياله ، لم أكن أشير ببساطة إلى الشئ الواضح عندما قلتُ لأحد يُمكن أن يكون هرانت دينك . فقد رأيتُ رجلاً واحداً فقط - راقداً ، اخترقته الرصاصات ، وجهه

لأسفل على الرصيف . كان وحيداً . فأين كان كل من يدعون أنهم هرانت دينك حينئذ ؟

وبعد ذلك اليوم المشثوم - نتيجة الشعور بالذنب ، أو الغضب ، أو اليأس ، لا أعرف - أصبح كثيرون ممن عرفوا هرانت فى تركيا أكثر شجاعة فى الكلام . وكثيرون ممن لم يعرفوه يفعلون الآن ، وتأثرت حياتهم بعمق .

ولكن ، رغم تدفق العواطف والحبر ، رغم الغضب فى تركيا وخارجها ، ورغم التكرار المسعور لعبارة : « نحن جميعاً هرانت دينك ، نحن جميعاً أرمن » ، فإن هرانت ليس أقل وحدة اليوم مما كان منذ ست سنوات على ذلك الرصيف .

لأن العدل هو العلاج الحقيقى الوحيد لتلك الوحدة .

وأولئك الذين كانوا مسئولين عن الجريمة لم يقبض عليهم بعد .

لا أحد يُمكن أن يكون هرانت دينك . حتى هرانت دينك أحياناً لم يكن هو نفسه ، لأن المرء لا يستطيع أن يكون نفسه بالكامل - كمثقف عام ، والأهم ، كأرمنى - ويهرب من الملاحقة والعقاب فى تركيا ، حيث الضغط الذى يُمارس لخفض نغمة الخطاب ، أن تُنتقد وأن تتفجع داخل حدود لا تخرج عنها ، أن تُصنف لأكثر الأفعال تفاهة فى الخلاف فى الرأى باعتبارهِ المثال النموذجى للبطولة الطاغية ، التى لا يُشق لها غبار .

لا أحد ، إذن ، يُمكن أن يكون هرانت دينك ، وبالمناسبة ، لا أحد أيضاً أرمنى .

عندما تحدثتُ فى إسطنبول يوم ٢٤ أبريل ٢٠١٠ ، أمام جماعة من المثقفين والناشطين ، كانت الرسالة الوحيدة التى حاولت توصيلها هى استحالة المشاركة ،

والشعور ، والفهم - وفى الصورة الأكبر للأشياء ، أن ذلك كله غير مهم .

لقد بنى الاقتصاد القومى التركى إلى حد كبير على الانتزاع الممتزج بالعنف على ممتلكات الأرمن . والتباين فى القوة بين تركيا وأرمنية اليوم ناتج عن هذا الانتزاع . وعبء الانتزاع على الممتلكات هذا يجعل كلمات المشاركة ، والمشاعر ، والفهم ، ترن خاوية ، مهما كانت صادقة وأصيلة .

ولكن هناك سبيل إلى الأمام . التزام حقيقى مع الأرمن يبدأ من نقطة نزع الملكية والإذلال - على رمال دير الزور .

والتزام حقيقى يبدأ من نقطة تحول لغة نزع الملكية إلى لغة العدل .

دعونا لا نتحدث عن ماضٍ مشترك ، وكيف أننا جميعاً نأكل نفس الطعام .

فليس السبيل إلى السلام طريقةٌ صنع الضلعة ، وإنما هو العدل .

دعونا لا نسأل كل واحد أن يُصبح صديقاً للأرمن أو لهرانت .

فأصدقاء هرانت والأرمن كثيرون ، هنا فى هذه القاعة ، وفى هذا البلد ، وحول العالم .

ولكن مطالبة الآخرين بأن يفتحوا عيونهم ويعترفوا بمعاناة الأرمن لا يُمكن أن يكون كافياً .

فالضرورى هو العدل .

وهكذا اليوم ، أعيد إليكم لغة الموت وانتزاع الممتلكات .

وبدلاً منها ، بإسم أجدادى ، خاتشادور وملينه مراديان ، وأرداشيس وأغافنى غريبيان ، أطالب بلغة العدل .